لقاء مع اسماعيل الشيخلي

اعداد . عبدالرحمن مجيد الربيعي

اسماعيل الشيخلي واحد من فنانينا الرواد الذين تتلمذ على ايديهم عدد كبير من الرسامين الشباب • درس الرسم في فرنسا بعد ان تخرج في معهد الفنون الجميلة ببغداد • وهو عضو مؤسس لمجموعة «الرواد» التي حافظت على بقائها رغم تفتت العديد من المجموعات الفنية ، وفي هذا اللقاء مع الفنان الشيخلي نحاول تقليب صفحات ماضية في تاريخ الفن التشكيلي العراقي الذي اخذ له موقعا مهما لا في البلاد العربية فقط بل وفي حركة الفنون التشكيلية العالمية كلها• وقد حرصنا ان تكون أراءه صريحة حتى تكتسب اهمية خاصة وتصبح وثيقة لدارسي الفن العراقي•

ـ بصفتك احد مؤسسي مجموعة «الرواد» التي مارست دورا بارزا في حركة الفنون التشكيلية العراقية هل لك ان تحدثنا عن مبررات تكوين هذه المجموعة ؟

ـ تكونت مجموعتنا اصلا من اصدقاء يجمعهم حب الفن ٠٠ الموسيقى ٠٠ الرسم ٠٠ الطبيعة ٠٠٠ الخ ، فيالوقت الذي كانت فيه بغداد تفتقر لهذا اللون من الناس ٠ وكان المحور في لقاءاتنا الفنان فائق حسن الذي بدأنا نجتمع في مرسمه ٠ وكانت اجتماعاتنا تخضع لمنهج ليلي تسمع فيه الموسيقى الكلاسيكية ليلتين في الاسبوع مثلا ، كما ان لنا وقتا آخر في كل جمعة حيث نخرج للطبيعة لغرض الرسم ، كان بيننا اطباء ومهندسون ومدرسون امثال : فائق حسن ، جواد سليم ، خالد القصاب د ٠ نوري مصطفى بهجت ، زيد صالح زكي ، يوسف عبد القادر، فاروق عبد العزيز ، عبد الله العمري ، ثم جاء ايضا : قتيبة الشيخ نوري، محمود صبري، رافد اديب واسماعيل ناصر وعيسى حنا وآخرون غيرهم٠ وقد بدأت هذه الاجتماعات منذ عام ١٩٣٩ وتبلورت عام ١٩٤٢ ٠ وقد رافق هذه الاجتماعات تأسيس فرع الرسم في معهد الفنون الجميلة٠ وعندما كنا نخرج للرسم كان اهالي بغداد يخرجون لتأمل منظرنا ونحن نحمل ادوات الرسم او ونحن نرسم الطبيعة واعتقد بان لقاءنا كان اول تجمع في الوطن يلاحق نشاط الفن والفكر والكتابة في تلك الفترة الجافة ٠

ـ ومتى اخذت «الرواد» شكلها النهائي كمجموعة مستقلة ؟

ـ في ٢٢ كانون الاول عام ١٩٥٠ حيث اقيم اول معرض لنا في بيت الدكتور خالد القصاب ٠ وقد شارك معنا في معرضنا الاول عدد من جماعة بغداد للفن الحديث كلورنا وجواد سليم ٠

ـ وهل حملت مجموعتكم اسم «الرواد» لاول مرة ؟

ـ كان الاسم الاول الذي حملته مجموعتنا اسم « الرواد » الذي أقترحه يوسف عبد القادر ، لاننا كرواد فن وطليعة رواد الطبيعة ٠ اما فائق حسن فكان منذ اول تجمعنا يخرج معنا وهو يحمل علما مكتوبا عليه (S.P) وتعني بالنسبة له «الجماعة البدائية» وقد استمرت المجموعة في العمل لهذه الفترة ٠

ـ ما دام لفائق حسن هذا التأثير فما هي مبررات خروجه من المجموعة ؟

ـ من وجهة نظري الشخصية هناك ثلاثة عوامل لعبت دورها في خروجه عن «الرواد» اولها : ان اكثرية ألمجموعة هم من ألهواة وليسوا من الممتهنين وكان هذا يضايقه جدا ، وثانيها : ان المجموعة قد بدأت تطرح فكرا من خلال الاعمال الفنية التي قدمتها يتعايش مع الظروف

القومية والوطنية التي سبقت ثورة تموز ١٩٥٨ ويبدو ان فائقا لايريد الايغال في مثل هذه العوالم لان له عوالم خاصة، شعبية ويومية ينفرد بها . وثالثها : وهو الايحاء له من قبل البعض أن فناني هذه المجموعة قد اخذوا يستغلون اسمه لكونه فنانا معروفا وقد دفعت به هذه الايحاءات الى أن يعتزل المجموعة ليرسم منفردا.

ـ وما هو اخر معرض ساهم فيه معكم ؟

ـ المعرض السادس الذي اقيم في معهد الفنون الجميلة في ٢١ نيسان عام ١٩٦٢ .

ـ ارى انك قد عددت اسم جواد سليم ضمن المجموعة في لقاءاتكم الاولى ، هل استمر معكم ؟ ولماذا خرج هو الاخر عنكم؟

ـ لقد استمر جواد سليم كصديق للمجموعة حتى يوم وفاته على الرغم من انه كون مجموعة بغداد للفن الحديث والتي كان لايلتقي بأفرادها اكثر من لقائه معنا منذ عودته من لندن عام ١٩٥٠ ومعه لورنا حيث لم يجد اي نشاط فني غير النشاط الذي تقدمه مجموعتنا ولذلك انتمى الينا ، كنا نجلس ونقرر : لماذا لانقيم معرضا ؟ ونجد الفكرة مناسبة ونبدأ بالاتصال ونقيم المعرض على الرغم من ان قاعات العرض كادت ان تكون معدومة آنذاك .

ـ يشكل جواد سليم وفائق حسن قطبين مهمين في الفن العراقي فما هي طبيعة العلاقة بينهما ؟

ـ على الرغم من الاحترام البديع الذى كان يظهره احدهما للاخر، كان كل منهما يخشى الآخر وكان شعور فائق بأن جوادا فنان وشاعر مدرك لعمله ، وكان يهابه ويخشاه لهذا لسبب وقد لا يرضيه صورة ينجزها لابداء رأيه فيها ، أما جواد فكان يشعر ان فائقا رسام قوي بتخطيطه وبتكنيكه وبضاعته . واعتقد ان كل منهما كان ينقصه ما في الاخر .

ـ ولماذا الف جواد جماعة بغداد للفن الحديث ؟

ـ كان جواد يفكر بتكوين مجموعة ذات اتجاه فكرى واحد مميز ، فكانت جماعة بغداد للفن الحديث التجسيد لتفكيره التي انشأها عام ١٩٥٢ وقد تصدر تأليفها بيان فني .

ـ وهل تعتقد بان نقص الوحدة الفنية التي تؤلف بين اعضاء المجموعة سيؤثر على عطائها كما هو عند الرواد ؟ ولذلك الف جواد جماعة بغداد؟

ـ اعتقد بأن مجموعتنا «الرواد» ذات اتجاه فكري واحد ، وهذا ما اثبتته مناقشاتنا ووجهات نظرنا، اي بتعبيراخر لنا اتجاه واحد في المضمون، لكن الاختلاف بيننا كأعضاء مجموعة واحدة هو في الاساليب التي نطرقها، ونحن هنا على عكس جماعة بغداد الذين تكونوا على اساس متقارب في البحث عن اساليب ذات منطلقات متقاربة وهذا كان هم جواد سليم الذي

يرى ان على الفنان العراقي ان ينفرد باسلوبه المميز البعيد عن التقليـــد. ولكن هذه العملية لم تكن سهلة .

ـ ولماذا ؟

لان لكل واحد منا تأثيراته من الفن العالمي ، فأنا مثلا كنت متـــأثرا بالمدرسة المكسيكية من حيث المضمون في وقتها ، ومحمود صبري كان متأثرا باعمال بيكاسو كيكوشا . أما جواد سـليم فقـــد حاول البحث في الفن الاسلامي « فن الواسطي مثلا من اجل تقـــديم فن عراقي ذي شـــخصية مميزة » .

ـ وما هو وضع «الرواد» الان ؟

ـ مرت فترة لم يبق في «الرواد» من الممتهنين احد غيري ، وقد حاولنا منذ المعرض السابع عام ١٩٦٤ وهو العام الذي توليت فيه شؤون المجموعة حاولنا ترميم هذه المجموعة ، وشحنها بدماء جديدة ، وبدأت بالاتصالات مع الفنانين بمعاونة الدكتور خالد القصاب واقترحنا قبول اعضاء جدد بعد ان كانت المجموعة طيلة الاعوام الماضية مقفلة علينا ، فانضم الينا كاظم حيدر ، نوري الراوي ، غالب ناهي ، سعاد العطار ، غازي السعودي ، راكان دبدوب ومحمد علي شاكر ، وهذه الاسماء كانت معروفة لدى جمهور الفن في العراق ٠

ـ ما هي اهم الاحداث التي اثرت في حركة الفنون التشكيلية العراقية وجعلتها تتصدر الفنون الاخرى لا في العراق فقط بل في البلاد العربية الاخرى ؟

ـ اهم الاحداث ـ وهذه ليست وجهة نظري الخاصة فقط ـ هو وجود بعض الفنانين البولونيين في العراق بين عامي (٤١ ـ ٤٣) حيث اتصلوا بالفنانين العراقيين ، وقد فتح اتصالهم هذا صفحة جديدة للفن العراقي الذي كان انذاك لا يتعدى الاعمال الاكاديمية البسيطة٠ وبين هؤلاء الفنانين البولونيين ثلاثة من اشهر فناني بولونيا وقد درسوا الرسم في فرنسا وهم : ياريما ، ماتوشاك ،وچابسكي ٠ وهم من تلاميذ وموريدي بونار الرسام الفرنسي المعروف وصاحب المدرسة الفنية الخاصة به ٠ وكان أول الذين اتصلوا بهم جواد سليم وفائق حسن ،واخذ جواد يستوعب المسائل التي يطرحونها لا سيما الفكرية منها اكثر من استيعاب فائق لها ،كما اتصل بهم اكرم شكري ورشاد حاتم وحافظ الدروبي وعيسى حنا ايضا ،ومن وجهة نظري ان اكثر من افاد منهم هو جواد سليم لانه كان مثقفا ومتابعا ٠

ـ واين كنت انذاك ؟

ـ كنت طالبا في الصف الثالث من معهد الفنون الجميلة ، وكان فائق حسن مدرسنا ، وقد دخل علينا ذات يوم ـ وعلى اثر لقاءاته المتكررة بالفنانين البولونيين ـ وطلب منا بصورة مفاجئة ان نمزق كل مارسمناه خلال السنوات الماضية وجله معلق على جدران المرسم ، وقال : أن هذه صور سطحية والفن ليس هكذا ٠ وبدأ يبث فينا الافكار الفنية الحديثة التي كان قد تعلمها من الفنانين البولونيين٠

ـ وهل تعرف الطلبة على الفانين البولونيين شخصيا ؟

ـ من الحوادث التي مازلت اذكرها ان فائق حسن قد طلب منا ان نشاهد «ماتوشاك» فقد جاء الى معهد الفنون الجميلة الذي كان مكانه آنذاك في البتاوين ، وبدأ «ماتوشاك» برسم المقهى المجاورة للمعهد والتي

تقع حاليا بين سينما اطلس والنجوم ، وكان لهذا العمل تأثير كبير علينا اذ كنا مشدوهين بما يصنعه ، وانتظرناه اربع ساعات حتى انجز الصورة وقد تعلمنا من ملاحظته الشيء الكثير ٠

ـ ومن كان معك في الصف ؟

ـ نزيهة سليم ، خالد الجادر ، فاروق عبدالعزيز ، فريد نانو ، وسلمان داود الخلف ٠٠ وغيرهم

ـ وما هي التأثيرات اللاحقة التي تركها الفنانون البولونيون ؟

ـ بعد مشاهدة الفنانين البولونيين والاستماع الى ارائهم أخذ الفنانون العراقيون يتجهون جادين لدراسة الفن العالمي المعاصر ٠٠ بيكاسو ، هنري مور الخ ، واول صورة سريالية مثلا رسمها جواد سليم ،واسمها «الملاريا» وكنا لا نعرف شيئا عن السريالية ولم نشاهد لوحة منها بعد ٠ اما تأثيرات هنري مور فقد بدأت على النحاتين ، ورسم جميل حمودي لوحات تجريدية ٠

ـ والاغلبية ؟

ـ سادها الفن الانطباعي وما بعده ، ويروي لي فائق حسن انه عندما كان طالبا في باريس ٣٦ ـ ٣٩ كان يزور متحف اللكسمبرغ ـ والذي اصبح اسمه الان متحف الفن الحديث ـ وقد تعرف على اعمال فنان اعجب به ولكنه لم يهتم بمعرفة اسمه ، ولم يعرف ان هذا الفنان هو سيزان الا عام ١٩٤٥ وعن طريق الفنان البولوني (ماتوشاك) الذي اراه نماذج من رسوم سيزان تلك ٠

ـ وما بعد فترة البولونيين ؟

ـ توسعت دراسة الرسم في معهد الفنون الجميلة ، وسافر الطلبة البارزون في بعثات الى الخارج ، وعادوا ليعملوا مدرسين للفن، وتابع الرواد وجماعة بغداد تقديم معارضهم السنوية ، وكل هذه عوامل ساعدت على مضي الفن خطوات واسعة الى الامام ٠

ـ وما هو رأيك في واقع الفن العراقي اليوم وبعد التوسع الذي حصل في مجالات تدريسه ، انبثاق اكاديمية الفنون الجميلة ، وكثرة البعوث ، وزيادة عدد الفنانين وقاعات العرض ؟

ـ على الرغم من كل هذا اعتقد ان هناك ازمة ، وسببها هو خلو الفن العراقي الحديث من الفكر من جهة وعجز عدد كبير من الفنانين السابقين على التخطي من جهة ثانية ، وان ما يحتاجه الفن العراقي الحديث هو توضيح المواقف الفكرية سواء في مجال تدريس هذا الفن او عرضه ٠ وان نكون مبادرين الى التشجيع الاعمى لكل ما يقدم قد يؤدي الى عملية تشويه يوضع فيها الاخضر بمعيار اليابس ٠

ـ ماذا تريد اذن ؟

ـ اعتقد ان الظروف الجديدة التي يسير فيها الوطن تدريجيا نحو حل المشاكل والتناقضات الاجتماعية وتبني الدولة الجاد للفنان ستخلق الاعمال الجيدة التي لم تكن الغاية منها ارضاء افراد محدودين.

ـ وهل بين الشباب من هم جديرون بان يكونوا البديل عن جيلكم ؟ ومن هم ؟

ـ اننا نمر في فترة فيض، كثر فيها التشتت وكثرت الاسماء والاعمال والاجتهادات والتناقضات ، ولكن هناك فنانين واعين كثيرين مازالوا يرسمون ويحاولون ولا استطيع التركيز على اسماء بالذات دون غيرها . فقد علمتني التجربة ان لا استبق في الحكم .